الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

رئاسة الجمهورية

المجلس الأعلى للغة العربية

رُبْعُ قَرْنٍ مِن العَطاء

2023-1998

منشورات المجلس الأعلى للغة العربية

2023

ربع قرن من العطاء

المجلس الأعلى للغة العربية

شارع فرانكلين روزفلت الجزائر ص.ب. 575 ديدوش مراد – الجزائر

+213 23 48 72 78/+213 697 85 47 75

+213 23 48 72 62

www.hcla.dz

رُبعُ قَرنٍ مِن العَطاء

2023

- **كـتاب: رُبع قرنٍ مِن العطاء**

- **إعداد : المجلس الأعلى للّغة العربيّة**
- **قياس الصّفحة:** 23/15.5
- **عدد الصّفحات: 207**

منشورات المجلس

الإيداع القانوني: السّداسي الثّاني 2023
ردمـك: 6 - 23 - 298 - 9931 - 26.978

المجلس الأعلى للّغة العربيّة
العنوان: 52، شارع فرانكلين روزفلت
ص.ب 575، ديدوش مراد، الجزائر.
الهاتف: 78 72 48 23 (213) 00
النّاسوخ: 62 72 48 23 (213) 00
الموقع الإلكتروني: www.hcla.dz

الفهرس

الرّقم	العنوان	الصّفحة
01	ربع قرن من العطاء. أ.د صالح بلعيد رئيس المجلس الأعلى للّغة العربيّة	6-5
02	البروفيسور صالح بلعيد ولمساته المشرقة في المجلس أ.د نوار لعبيدي عضو المجلس	11-7
03	المجلس الأعلى للّغة العربيّة إنجازا د. حبيب مونسي عضو المجلس	33-12
04	المعاجم التي أصدرها المجلس الأعلى للّغة العربيّة أنواعها وخصائصها. أ.د عبد المجيد سالمي عضو المجلس	37-34
05	العربيّة لغة الشّعر الخالدّة. د. ياسين بوراس جامعة محمّد بوضياف بالمسيلة	63-38
06	جهود المجلس الأعلى للّغة العربيّة في وضع مقاربة لاستراتيجيّة التّرجمة في الجزائر أ.د مهدية بن عيسى وحدة البحث–تلمسان	77-64
07	جهود المجلس الأعلى للّغة العربيّة بالجزائر في خدمة اللّغة العربيّة –قراءة في نماذج مُختارة من أعماله– د. سيف الإسلام بوفلاقة جامعة عنّابة	154-78
08	إيقاع اللّغة: مقاربةٌ في موسيقيّة اللّغة العربيّة د. محمد حراث	175-155
09	استراتيجيّة المَجلس الأعلى للّغة العربيّة في حِمايَة اللّغة العربيّة وتَطويرها –الجُهود المعجميّة نموذجًا– أ.د. عبد الناصر بوعلي جامعة تلمسان	194-176
10	قصيدة المِعْراج إلى سِدْرَةِ العَرَب د. محمّد حراث	197-195

11	قصيدة من وحي المعجم التّاريخيّ	د. محمّد حراث	199-198
12	قصيدة اللّغة المشتهاة	أ. سمية محنّش عضو المجلس	202-200
13	قصيدة ناديتُ ربّي من علٍ...	عفاف فنوح عضو المجلس	206-203

العربيّة لغة الشّعر الخالدّة

د. ياسين بوراس

جامعة محمّد بوضياف بالمسيلة–الجزائر

مقدّمة: تستمدّ اللّغة قوّتها من الدّين رمزًا للهويّة، ومن الشّعر رمزا للفكر والإبداع، ومن المعرفة رمزا للأدب والحكمة، وإذا كانت اللّغة في أبسط معانيها هي ذلك الصّوت النّاطق عن الإسنان؛ فإنّها في الشّعر والأدب ذلك الإنسان النّابض بالحياة؛ فبالشّعر خلّد الإنسان مَجْدَه، وبالشّعر بثّ شكواه وحزنه، وبالشّعر تغنّى وطَرِب، وبالشّعر تعلّم الحكمة والأدب. بالشّعر صدحت أوّل ملحمة في التّاريخ لتروي لنا بطولة الشّجعان (إلياذة هوميروس) وأخبار عبس وذُبيان، وعنترةَ فارسِ الفرسان. بالشّعر نافح عن الإسلام حسّان، وقاوم الفسلطينيّ العدوان ولخّص الشّافعيّ معاني الإيمان، ونطق المتنبّي الحكمة بالِغَةَ الإتقان. بالشّعر ناجى الحلاّج ربّه، وبثّ ابن زيدون حنينه وشوقه. وبالشّعر أحيا البارودي ثورة القلم، وحثّ شوقي على رفع الهِمَم، ونادى حافظ لنكون خير الأمم، وخلّد مفدي زكريا ثورة الجزائر من أعلي جرجرة والأوراس الأشمّ. إنّ الشّعر في كلّ هذا وذاك ليس رمزا للفكر والإبداع فحسب، بلْ هو رمز للإنسانيّة، فيه يعيش الإنسان ماضيه في حاضره، وفيه تعيش الأجيال للأجيال، لتروي لها الأخبار الطّوال وإلا –لو لم يكن الشّعر–فكيف نفسّر وصول هذه اللّغات إلينا على مرّ التّاريخ أمام

اندثار الإعمار وفناء الأعمار. هذا حالنّا مع الشّعر؟ فكيف حال العربيّة مع الشّعر؟

الشّعر –كما يقول ابن عباس قديما–ديوان العرب، فإذا خَفِيَ علينا الحرف من القرآن الذّي أنزله الله بلغة العرب، رجعنا إلى ديوانها فالتّمسنا ذلك منه، فالشّعر ديوان العرب؛ لأنّ به يُعرَف فيها الحَسَبُ والنّسب، وبه تعرف أيامها وتُحْسَب وبه تعرف أخبارها الصّادق والعجب، وبه تُعرَف أرضها نَبْتًا وحبّا، وبه تُعرَف دوابّها الطّيرُ منها وما دبّ، وبه تعرف حروبها المنتصر فيها والمُنتحِب وبه يعرف الفرق بين (يُعطي) و(يَهَب) و(الفَرْضُ) و(ما وَجَبْ) وكلّ امرئ رهينةٌ بما كسب. أمّا الشّعر في العصر الحديث –فكما يقول نزار–كلمات ليست كالكلمات يُنظم شطرًا وأبياتًا، عذب اللحن بديع الأغنيات، فيه تغدو الجبال شامخات والبنود اللامعات خافقات، والدّماء الزّاكيات طاهرات، والشّهيد ليس كمن مات. فيه تغدو الأحلام أمنيات، والشّمس زهرة في الأرض وفي السّموات والعيد يعود من جديد ومن بعيد آت، والأرض أرض الحُرِّ إذا الحرّ عاهد أن يصون الأرض أو مات، فهل يموت الشّعر إذ الشّعر كلمات ليست كالكلمات؟

أوّلا–وظيفة الشّعر: بالنّظر إلى وظيفة الشّعر قديما يمكننا القول بأنّ الشّعر ظلّ مرافقا للإنسان طيلة مراحل تاريخه، بل وظلّ مرافقا له في الشّدّة والرّخاء كما رافقه في السّراء والضّراء، ما يجعلنا نعتبره لسان حاله النّاطق عن جميع ظروفه وأحواله. وإذا كان قديما قد اقتصر دوره على الإنشاد في حدْو الإبل، أو التّغني

بالبطولات وتخليد الأمجاد –في الحضارات القديمة– أو اللّهو والسّمر، والتّفاخر بالآباء والأجداد، وتخويف الأعداء، ورفع الحماس في قتال العدوّ، ونظم المراثي والغزل والنّسيب، ومدح الملوك من ذوي الجاه، أو في مدح مكرمة وذمّ نقيصة فإنّ هذا كلّه لا يعدو أن يكون شعرا اجتماعيّا بالدّرجة الأولى ليتحوّل في ما بعد مع عصر صدر الإسلام، إلى الوظيفة الدّينيّة، كالزّهد، أو البكاء على الأحبّة ممّن فرقتهم دار الهجرة أو الإسلام، ثم نصرة الإسلام، ليتحوّل مع عصر النّهضة في العصر العباسي إلى الوظيفة السّياسيّة، مع شعراء المدح أو المولّدين الذّين ناصروا الفكر الشّعوبي أو انتصروا للدّولة العباسيّة: كبشار، وأبي نواس، وأبي تمام. ومع انهيار الدّولة العباسيّة تحول الشّعر إلى الوظيفيّة التّعليميّة مع أصحاب المنظومات النّحويّة أو المتون التّعليميّة، واستطاع أن يحتفظ ببعض توجهّه السّياسيّ مع عصر الدّول والمماليك، ليعود من جديد إلى دوره الرّيادي في عصر النّهضة، مع شعراء مدرسة البعث والإحياء، الذّين وظّفوه في موضوعات شتّى كالغزل، والمديح، والرّثاء، والهجاء، ومع ذلك فقد ظل ّذلك الشّعر الذّي يستمد لغته من لغة الشّعر الجاهليّ، بعيدا عن لغة العصر ومستجدّات الحياة. ثمّ ليتحوّل في ما بعد مع أصحاب الشّعر التّحرُّريّ في العصر الحديث إلى الوظيفة السّياسيّة بعد أن استُخدِم وسيلة لنشر الوعي والنّضال السّياسيّ ضدّ المستعمر أو المستبدّ الغاشم.

وبغض النّظر عن أفلاطون الذّي طرد الشّعراء من جمهوريته، بعد أن اعتبر أنّ الشّعر بلا وظيفة، وأنّه جدير بأن يملأ عقول النّاس بالأوهام والخرافات إلا ما

كان منه أناشيد تتقدم صفوف المحاربين، وترن أصداؤه فوق راياتهم في القتال فإنّ الشّعر في كلّ هذا وذاك عند أرسطو ذو وظيفة نبيلة تتمثّل في محاكاة العالم الآخر أو عالم المثل كما يصطلح على تسميته عند أرسطو، وأنّ هذه المحاكاة نابعة من طبيعة الذّات الإنسانيّة التي تعشق الإبداع وحبّ الجمال وإن اختلفت أشكال هذا الإبداع، إذ "يبدو أن الشّعر –على العموم– قد ولّده سببان وأن هذين السّببين راجعان إلى الطّبيعة الإنسانيّة، فإن المحاكاة أمر فطري موجود للناس منذ الصّغر، ثم

إنّ الالتذاذ بالأشياء المحكيّة أمر عامّ للجميع".i وهذه الوظيفة عند أرسطو هي من تجعل الشّعر يسمو على بقيّة أشكال التّعبير، التي يمكن أن تتعدد بتعدد أنواع المادّة عند أرسطو، كالرّسم، والموسيقى.

وإذا كانت وظيفة الشّعر عند أرسطو هي المحاكاة أو التّقليد بحثا عن المتعة فإنّها في الحضارة العربيّة –وعند ابن قتيبة الذّي ينظِّر للشّعر العربيّ من منطلق أنّه وسيلة للتّوثيق أو سجّل للتّاريخ– هو وسيلة لمعرفة معاني الألفاظ عند أهل اللّغة، جزلها وفحلها، وفصيحها وغريبها، وإلا من دون الشّعر يتملّك اللّغويّ النّقص في صناعته، إضافة إلى أنّه وسيلة للاستشهاد في الاستدلال على صحة القواعد النّحويّة عند أهل صناعة النّحو، وكذا وسيلة للتوثيق عند أهل التّاريخ فبه تعرف أيام العرب وأخبارها، وما جرى فيها وأنسابها، وما استودعته فيه من آداب وعلوم، ناهيك عن أنّه وسيلة لصقل الموهبة وترسيخ الملكة عند أهل الشّعر أو

الأدب عموما من كتاب وخطباء "فمن أفضل فضائل الشّعر أنّ ألفاظ اللّغة إنما يؤخذ جزلها وفصيحها، وفحلها وغريبها من الشّعر؛ ومن لم يكن راويّة لأشعار العرب تبيّن النّقص فى صناعته. ومن ذلك أيضا أنّ الشّواهد تنزع من الشّعر ولولاه لم يكن على ما يلتبس من ألفاظ القرآن وأخبار الرّسول ﷺ شاهد. وكذلك لا نعرف أنساب العرب وتواريخها وأيّامها ووقائعها إلاّ من جملة أشعارها؛ فالشّعر ديوان العرب، وخزانة حكمتها، ومستنبط آدابها، ومستودع علومها؛ فإذا كان ذلك كذلك فحاجة الكاتب والخطيب وكلّ متأدّب بلغة العرب أو ناظر فى علومها إليه ماسّة وفاقته إلى روايته شديدة".ii

وهذا عن وظيفة الشّعر عند ابن قتيبة الذّي يركز على الشّعر باعتباره وسيلة لا غاية، أمّا في الحقيقة لو ركّزنا اهتمامنا على وظيفة الشّعر الحقيقيّة قديما أو حديثا، فإنّنا نجد أنّ الشّعر لا يقتصر دوره على التّدوين والتّأريخ للأحداث فقط بل يتعدّاه إلى كونه وسيلة لتهذيب النّفس وتربيّة الذّوق عند أهل الفنّ وأصحاب الملكات، فهو وسيلة للتّعبير شأنّه في ذلك شأن ال فنّون الأخرى التي تدعو إلى التّأمل والتّفكير بحثا عن الكمال والجمال في الموجودات، كما أنّه وسيلة لتجريد الأحداث السّياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة عند أهل التّاريخ ووسيلة لتحقيق النّضال السّياسي في جميع أرجاء المعمورة التي لا يزال سكانها تحت وطأة الاحتلال، في ظلّ الحصار الذّي من الممكن أن يشنه المستعمر على صنّاع الفكر والأدب في المجتمع، ناهيك عن كونه وسيلة للتّعريف بالأدب والثّقافة التي من الممكن أن تميّز مجتمعا عن غيره من المجتمعات، وأخيرا صار الشّعر في

عصرنا الحالي يُستْعمل في الإنشاد والطّرب، بعد أن وجدت معظم القصائد الشّعريّة طريقها إلى الإنشاد أو الغناء، بسبب تضمّنها لكثير من معاني القيّم الإنسانيّة النّبيلة، والأخلاق الفاضلة وهذا سعيا منه لترسيخ هذه القيّم والأخلاق الفاضلة في المجتمع، والغناء كما هو معلوم مما تهفو إليه النّفس وتطرب لدقّة معانيه وعذوبة ألحانه.

وإذا كان رومان جاكبسون قد حدّد وظيفة الشّعر في كونه رسالة، يركز فيها الشّاعر على الإبداع أكثر من تركيزه على أيّ شيء آخر، فهو في الحقيقة رسالة لأنّه ينقل لنا الحقائق بشيء من المتعة اللّفظيّة؛ حيث تتدخّل فيه ذاتيّة المبدع لتنسج أبنيتها داخل نظام لساني معين، وتظهر في الرّسائل اللّغويّة الأخرى وغير اللّغويّة كما في الفنّون (الرّسم، الموسيقى، المسرح...) وهو بذلك يتحوّل إلى وسيلة خلق وإبداع؛ حيث ينتقي فيه الشّاعر من ألفاظ اللّغة ما يستطيع به أن يسمو على لغة البشر العاديّين، وتتجاوز فيه اللّغة حدود التّواصل إلى الوظيفة الجماليّة، بعد أن يكون قد صنع نموذجا لغويا أشبه بالتّحفة الفنيّة التي لا مثيل لها، وهي الوظيفة التي اعتبرها رومان جاكبسون أحد وظائف اللّغة الأساسيّة.

ثانياً-العربيّة لغة الشّعر: ليس مزايدة على العربيّة إن قلنا إنّ العربيّة لغة الشّعر، وإن كان للغات الأخرى حظٌّ أوفر من هذا الجنس الأدبي، ولكن من باب الحقيقة أنّه إذا كان الشّعر في اللّغات الأخرى أدب، فهو في العربيّة لسان، والكل يعرف ما جرى بين نقاد العصر الحديث من مناظرات حول أسبقيّة الشّعر **(أيّهما أسبق الشّعر أم النّثر؟)** بين أصحاب المذهب الواقعيّ وأصحاب مدرسة الشّك

بعد أن ذهب شيخ المؤرخين والنّقاد الأستاذ طه حسين إلى القول بأسبقيّة الشّعر. ومهما يكن من أمر النّقاد حول أسبقيّة الشّعر أو النّثر، فإنّ هذا يؤكّد على تجذر هذا الجنس الأدبيّ في الحضارة العربيّة ومنه إلى اللّغة، ليصير الشّعر عنوانا آخر للّغة العربيّة إلى جانب لغة القرآن أو الإسلام، وكلّ اللّغات قد خاضت تجربتها مع هذا الجنس الأدبيّ الرّاقي، لم يكتب لها الانتشار باسم الشّعر باستثناء العربيّة التي هي لغة الشّعر بامتياز، فالشّعر الذّي استخدم في الحضارات القديمة للتّعبير عن حضور الذّات الإلهيّة أو اللاهوت، أو التّغني بالبطولات والأمجاد هو في اللّغة العربيّة ماض وحاضر، فبه تحدّثت وأخبرت، وبه عفت وتوعّدت وبه عزلت ونصّبت، وبه سلّمت، وبه وبه ولا يزال الشّعر في أمة العربيّة قائما إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فقد جاء في الأثر –وينسب إلى النّبي ﷺ– أنّه "لنْ تَدَعَ العَرَبُ الشّعْرَ حَتّى تَدَعَ الإِبِلُ الحَنينَ" والحنين هو ترجيع الإبل صوتها عطفا على ولدها؛ فهذا حال العربيّة مع الشّعر.

وإنّ كُتِب للعربيّة أن تكون لغة الشّعر؛ فهذا للخصائص التي تميّزها عن غيرها من اللّغات البشريّة، وهي **أوّلا؛ سعة معجمها**، فهي لغة يزيد عدد ألفاظها عن انثي عشر مليون كلمة (12.302.912) مع ما يتضمّنه معجمها من قواعد الاشتقاق، والتّضاد، والتّرادف، والمشترك اللفظيّ، ممّا يسهل على الشّاعر الانتقال بين المعاني وتوليد الدّلالات بكلّ مرونة أو سهولة وسلاسة. **وثانيا؛ اختلاف أوزانها**، فهي لغة تسمح فيها قواعد الاشتقاق بتوليد عدد لا متناهي من الألفاظ على وزن واحد أو عدّة أوزان مختلفة، مما يجعل إمكانيّة بناء قصيدة على وزن

واحد في العربيّة أكثر منه في لغات أخرى، **وثالثًا**؛ وأخيرا **هي لغة حضارة**، ولغة الحضارة لديها دوما ما تقوله عن الأشياء أكثر من غيرها من اللّغات التي لم تعرف الحضارة، أو نشأت في بيئة بعيدة عن الحضارة، وهذا شيء طبيعيّ بالنّسبة للّغة عمّرت طويلا مقارنة بلغة ليس لها تاريخ أو نشأت حديثا. ويمكن أن نضيف إلى جملة هذه الخصائص **مرونة ألفاظها** من حيث **مخارج الحروف وبنيّة الكلمة**، مقارنة بغيرها من اللّغات الهندو –أوربيّة التي تُعرف بنيتها الصّرفيّة بالطّول، مع تقارب مخارجها، ككلمة مقدّمة (introduction) في اللّغة الفرنسيّة، مما يجعل العربيّة أكثر طواعيّة على اللسّان في قول الشّعر، إذا ما استثنينا بعض مخارج الحروف الحلقيّة، التي من الممكن أن تجد صعوبة في نطقها عند الأعاجم أو غير النّاطقين بالعربيّة، ولعلّ هذا ما يفسّر لنا سهولة انتقال بعض الشّعراء الأعاجم إلى العربيّة أو حضور ملكة الشّعر عندهم، دون أن تكون لهم سابقة مع هذه الملكة، كبشار، وأبي نواس، وابن الرّومي، وغيرهم كثير، قديما أو حديثا.

وإذا نظرنا إلى تاريخ اللّغة العربيّة وجدناه حافلا بالإنجازات الشّعريّة والإبداعات الأدبيّة لشعراء أو مؤلفين أعاجم أو غير عرب، مما يدلّ كذلك على سرعة التّعلّم لدى هؤلاء وقدرتهم على استحضار ملكة الشّعر، لما للعربيّة من خصائص تعين على امتلاك هذه الموهبة أو الملكة الرّبّانيّة. إنّ العربيّة لغة الشّعر لأنّها طيّعة على اللسّان، عذبة الألحان، لسانها الحكمة والبيان، سهلة الحفظ على الأذهان

وإلا لَما اختارها الله لتكون لغة القرآن والبيان، هذا حال العربيّة مع الشّعر، فكيف حال الشّعر مع العربيّة؟

إنّ الشّعر للعربيّة بمثابة وعاء، فيه تُصْقَل تجربة الشّاعر؛ ليحدّثنا عن تجربته مع العربيّة والحياة، فبها يحدّثنا عمّا تقول العيون والجفون، وبها يحدّثنا عن ريب المنون، وبها يخبرنا عمّا كان وما سيكون، وبها يخبرنا عن حوادث الدّهر وما ستُبدي لك الأيام والسّنون، ولك أن تنظر في قول الشّاعر في وصف مصير الإنسان:iii

أَلا كلّ شَـيءٍ ما خَلا اللَهَ باطِلُ وَكُـلُّ نَـعـيـمٍ لا مَـحـالَـةَ زائِـلُ

وَكُلُّ أُناسٍ سَــوفَ تَدخُلُ بَينَهُم دُوَيهِيّـة تَصــفَرُّ مِنهـا الأَنـامِـلُ

وقول الشّاعر الذّي يصف الحياة ومصير الإنسان بطريقة مختلفة:iv

أَلا كلّ شَـيءٍ ما خَلا اللَهَ باطِلُ وَكُـلُّ نَـعـيـمٍ لا مَـحـالَـةَ زائِـلُ

وَكُلُّ أُناسٍ سَــوفَ تَدخُلُ بَينَهُم دُوَيهِيّـة تَصــفَرُّ مِنهـا الأَنـامِـلُ

أَلا كلّ شَـيءٍ ما خَلا اللَهَ باطِلُ وَكُـلُّ نَـعـيـمٍ لا مَـحـالَـةَ زائِـلُ

لتكتشف أنّ العربيّة في الشّعر أقدر على التّعبير عن معنى واحد بعدّة أبيات أو أشعار مختلفة، وقس على ذلك بقيّة موضوعات الشّعر التي لا يسع المجال لذكرها، فهذا حال العربيّة مع الشّعر، وحال الشّعر مع العربيّة.

ثالثًا– يموت الأدب ويحيا الشّعر: كثيرا ما اختلف النّقاد حول حياة الشّعر في العصر الحديث، بين من يرى أنّ عصره قد ولّى، ومن يرى أنّ هذا العصر هو عصر الشّعر بامتياز، ليضاف إلى مسيرته الطّويلة مع تاريخ الأدب، وقد دارت رحى هذا الاختلاف بين فريقين من النّقاد أحدهما ينتصر للشّعر جنسا أدبيا قديما معاصرا، والآخر للرواية جنسا أدبيا حديثا أو معاصرا،[v] وفي خضم هذا وذاك أصدر النّاقد المصريّ جابر عصفور كتابه (زمن الرّواية، 1999) منتصرا فيه للرّأي الذّي يرى أنّنا نعيش عصر الرّواية أو القصّة بامتياز، وأنّ على الأدب أن يهتمّ بهذا الجنس الأدبي الحديث، الذّي أزاح الشّعر عن مكانته؛ حيث خلص فيه إلى "أنّ تحوّلات الزّمن الذّي نعيشه، منذ أنِ انكسر المشروع القوميّ في العامّ السّابع والسّتين، وتمزّق هذه التّحوّلات بين نقائضها المتعدّدة المتكثّرة، وما تفرضه من بحث مجدّد عن الهويّة الفرديّة، والاجتماعيّة، والإبداعيّة، وما يتطلبه هذا البحث من مراقبة متأنّيّة لعناصر اللحظة الرّماديّة التي نعيشها، يبدو أنّ ذلك كلّه هو ما يجعلنا نعيش ما يمكن أن نطلق عليه (عصر الرّواية). لقد تغير التّراتب التّقليديّ بين الأنواع الأدبيّة، وانسحب الشّعر من عرشه الذّي ظلّ متربّعا عليه طويلا، بوصفه سيّد الأنواع الأدبيّة، وتعدّل التّراتب لتصعد الرّواية".[vi]

معارك دارت رحاها بين فريقين متعصبين لكل نوع أدبي منهما

الشعـــر.. أم الـروايـــة ؟

- نعيش زمن الرواية إبداعياً فهي ديوان العرب المحدثين
- جابر عصفور: زماننا الحالي هو للرواية
- فاروق شوشة: هذا زمن الشعر بامتياز
- محمد قطب: القصة دراسة نفسية في فهم سرائر النفوس
- محفوظ: الشعر ساد في عصور الفطرة والرواية شعر الدنيا الحديثة

ولم يعتمد جابر عصفور في إثبات صحّة رأيه على موقف القارئ كما هو حال النّقاد، ولا على جماليّة النّص كما هو حال القرّاء، ولكن اعتمد في إثبات صحّة هذا الافتراض على حدث تاريخيّ بالنّسبة للأدب العربيّ، وهو جائزة نوبل التي كانت من نصيب نجيب محفوظ قبل عشر سنوات من إصداره هذا الكتاب ليعتبرها مؤشرا قويا على صحّة رأيه، وهذا بعد عقده لعدّة مقارنات بين مختلف الأجناس الأدبيّة التي حظيت بنيل جائزة نوبل خلال السّنوات الأخيرة من تأليفه لهذا الكتاب؛ حيث خلُص من خلال المقارنة "أنّ الجائزة في الإحدى عشرة سنة الأخيرة (1981–1991) قد منحت ستّ مرّات لكتاب رواية، وثلاث مرات لشعراء، ومرتين لكاتبين يجمعان بين القصة والمسرح. وتلفتنا هذه الدّلالة الإحصائيّة إلى أنّ كلّ شاعر يقابله كاتبان للرواية على الأقل في حركة الجائزة وإذا قابلنا ما نستنتجه من هذه الدّلالة، في السّنوات الأخيرة بغيرها من السّنوات التي ترجع إلى بداية عهد الجائزة، يمكن ملاحظة أنّ الكتاب متعدّدي الاهتمام

الذّين يكتبون في أكثر من نوع أدبي، قد أخذوا يتقلصون تدريجيا، فتتجه الكتابة إلى التّخصّص من ناحيّة، والتّركيز على الرّواية من ناحيّة ثانيّة".[vii]

ويضيف جابر عصفور مؤشّرا آخر على صحّة رأيه في ما يتعلّق بالرّواية وهو التّرجمة القائمة بين مختلف اللّغات في ما يتعلّق بمختلف الأجناس الأدبيّة والتي عادة ما يكون فيها الحظّ للرّواية أو القصّة على حساب الشّعر في حركة النّقل القائمة بين اللّغات؛ ليخلص من خلالها كذلك إلى أنّه "إذا كنّا نفيد من قوائم الحاصلين على جائزة نوبل، بوصفها مؤشّرات إحصائيّة على شيوع فنّ القصّة في عصرنا، وسيطرة الرّواية على غيرها من الأنواع، من منظور عمليات استقبال الأدب، فإنّ الالتفات إلى أهميّة التّرجمة، والدّلالة الكميّة والكيفيّة، لما تمّ إنجازه منها، يمكن أن تتحوّل إلى مؤشرات أخرى، تكمل دلالة المؤشّرات الأولى وتؤكّدها ولن يدهشنا أن يكون إيقاع ترجمة القصة–الرّواية أسرع من إيقاع غيرها من الأنواع الأدبيّة، وأكثر جذبا لانتباه المترجمين، وأكثر إثارة للقرّاء في العالم كلّه في الوقت نفسه، ينطبق ذلك على ترجمة الأدب العربيّ كما ينطبق على غيره".[viii]

وخلاصة القول إنّ هذين المؤشّرين اللذيْن اعتمدهما جابر عصفور في إثبات صحّة رأيه حول أهمّيّة الرّواية بالنّسبة لهذا العصر، أو إثبات قوّة حضورها لدى جمهور القرّاء، ليس هناك ما يعضده، طالما أنّه استند فيهما على مؤشّرين هما أقرب إلى قياس مدى عالميّة الأدب منهما إلى قياس مدى القرائيّة أو الجماهيريّة في الأدب عموما، وإذا كان يمكن اعتبار التّرجمة أو الجوائز العالميّة مؤشّرا قويًّا على إثبات عالميّة الأدب، فأنّه لا يمكن اعتباره مؤشِّرا قويًّا على إثبات قوة

الحضور في جنس أدبيّ دون غيره أو أهمّيته بالنّسبة للقارئ، فالكثير من الأغاني التي كُتِب لها الانتشار، وأخذ مغنّوها صفة النّجوميّة أو العالميّة، لم تُتَرجم ولم يكتب لمغنيها الحظّ في نيل جوائز عالميّة، ومع ذلك فقد ظلت تتصف بالعالميّة. وعليه فأنّه لا بدّ من البحث في معايير أخرى لمعرفة قيمة هذا الأدب أو ذاك؛ أو معرفة ما يمكن أن يكون مهما من هذه الأجناس، لأنّ ما يجعلنا نحكم على قيمة الأدب أو أهمّيته بالنّسبة للقارئ، هو جمهور القرّاء، لا كثرة التّرجمات أو الجوائز التي يحظى بها مؤلّفوه.

وإنّ ما يجعلنا نعتبر هذه المعايير غير كفيلة بوضع معايير حقيقيّة لمعرفة قيمة الأدب، أو أهميته بالنّسبة للقارئ، هو قوة حضور الشّعر في هذا العصر تحديدا فرغم أنّ الرّواية تعرف انتشارا واسعا، وأنّها أكثر استقطابا لجمهور القرّاء إلا أنّها لم تستطع زحزحة الشّعر عن مكانته، فقد ظلّ الشّعر في هذا العصر ذلك الصّوت الذّي يأبى الخفوت، وظلّ جمهوره ذلك الصّوت الذّي يأبى الإنصات إلاّ بإمعان وأنّها بذلك الجنس الأدبيّ الأكثر استقطابا للجماهير، والأكثر تأثيرا في الأداب العالميّة، فبالنّظر إلى طبيعة الشّعر والشّعر العربيّ على وجه الخصوص، يمكننا القول بأن الشّعر أكثر قدرة على الصّمود أمام عامل الزّمن، بفعل عدّة عوامل بعضها يرجع إلى طبيعة الشّعر العربيّ بشكل خاصّ، وبعضها يرجع إلى طبيعة القارئ أو المستمع، وفي كليهما يمكن أن نكتشف هذه الخاصّيّة في الشّعر، وهي: **أولا؛ كثافة اللّغة. وثانيا؛ اللّحن أو الموسيقى، وثالثًا؛ القدرة على مجاراة الأحداث،** وفيما يلي التّفصيل في كلّ خاصّيّة من هذه الخصائص على حدة:

1- **كثافة اللّغة:** فالشّعر يقول أكثر ممّا يتكلّم، إذا ما استثنينا الأمثال والحكم التي هي أقرب في جزالة اللفظ وقوّة العبارة من الشّعر؛ حيث تنتقي لغة الشّعر من معجم اللّغة ما يتناسب مع طبيعة الشّعر، وتكون الكلمة في سياق يسمح لها بأن تقول أكثر مما تعني، ولذلك يرى موكاروفسكي "أنّ اللّغة الشّعريّة لها معجمها الخاصّ، ولها مصطلحاتها، كما أن لها بعض الصّيغ النّحويّة التي يمكن أن تسمى بالضّرائر الشّعريّة، وعلى هذا فاللّغة الشّعريّة ليست نوعا من اللّغة المعياريّة، وإن كان هذا لا يعني إنكار الارتباط الوثيق بينهما، والذّي يتمثّل في حقيقة أنّ اللّغة المعياريّة هي الخلفيّة التي ينعكس عليها التّحريف الجمالي المعتمد للمكونات اللّغويّة للعمل، أو الانتهاك المتعمد لقانون المعياريّة".ix وقديما إنّما انبهر العرب بالشّاعر، واعتقدوا فيه الجنون؛ لهذا الاختلاف القائم بينهم وبينه في اللّغة؛ حيث "أُعجب العرب في جاهليتهم وإسلامهم بهذه اللّغة الخاصّة؛ حتّى خيّل لهم أنّ للشّاعر شيطانا يساوره فيلقي إليه بهذا الضّرب من الكلم العجيب الذّي يفعل فيهم فعل السّحر، وكأنّ الشّاعر يعرض له رَئِيٌّ من الجنّ ينتابه وما يزال به حتّى يصبح مجنونا"x. وإذا ما نظرنا في طبيعة اللّغة الشّعريّة، وجدنا معانيها تمسوا على كلّ المعاني، ولغتها موحيّة، مع جزالة اللّفظ وقوّة العبارة، ولك أن تتأمل قول النّابغة في النّعمان بن المنذر، يستعطفه ويستجديه للصّفح عنه لتعرف الفرق بين لغة الشّعر ولغة النّثر في جميع النّصوص:

أَلا كلّ شَـيءٍ ما خَلا اللَـهَ باطِلُ وَكُـلُّ نَـعـيـمٍ لا مَـحـالَـةَ زائِـلُ

حيث يصوّر لنا الشّاعر عظمة ممدوحه الذّي شبّهه بالليل في سعة سطوته وامتداد ملكه، فهو يضع يده على جميع الأرض، فهو بذلك يدركه أينما حلّ أو ارتحل، ولو أردنا أن نقولها من دون الشّعر لاحتجنا إلى أكثر من عبارة في الاستدلال على هذا المعنى أو في التّعبير عنه، كقولنا: إنّني مهما هربت منك أيها الملك، ستدركني كما يدرك الليل جميع الأرض، وهذا سبب يجعلني لا أهرب منك إلا إليك، فأين المفرّ، والمفرّ ليس إلا إليك؟

ويمكن الاستدلال على كثافة اللّغة في الشّعر من عدّة أمثلة يتمّ فيها المقارنة بين لغة الشّعر ولغة النّثر في التّعبير عن المعنى الواحد، أو المعاني المختلفة بلفظ واحد، من الشّعر الجاهليّ والإسلاميّ والعباسيّ ومختلف العصور الزّاهرة أو العصر الحديث، ليتأكد لك قوّة حضور هذه الخاصّيّة (كثافة اللّغة) في الشّعر واحتفاظ الشّعر بهذه الخاصّيّة على مرّ التّاريخ، ولك أن تقرأ قول امرئ القيس في وصف الليل:

وليلٍ كمَوْجِ البَحْرِ أرخى سُـــدولَـهُ عَلَيَّ بأنواع الهموم ليبتلـــــــــي

فقُلْتُ لَهُ لمّا تَمَطّى بصُـلْبـــــــهِ وأَرْدَفَ أَعْجـازًا ونـاءَ بِكَلْكـــــــلِ

أَلا أَيُّها اللَّيْلُ الطّويلُ أَلا انْجَلـــي بِصُـبْحٍ وما الإِصْـباحُ مِنْكَ بأَمْثَـلِ

أو قول الأعشى:

وليلٍ كمَوْجِ البَحْرِ أرخى سُـــدولَـهُ عَلَيَّ بأنواع الهموم ليبتلـــــــــي

فقُلْتُ لَهُ لمّا تَمَطّى بصُـلْبـــــــهِ وأَرْدَفَ أَعْجـازًا ونـاءَ بِكَلْكـــــــلِ

أو قول ابن الرّوميّ:

وليلٍ كمَوْجِ البَحْرِ أرخى سُـدولَهُ عَلَيَّ بأنواع الهموم ليبتلـــــي

فقُلْتُ لَهُ لمّا تَمَطّى بصُلْبـــــهِ وأَرْدَفَ أَعْجازًا وناءَ بِكَلْكـــــلِ

أو قول حافظ إبراهيم:

وليـلٍ كمَوْجِ البَحْرِ أرخى ســدولَـهُ عَلَيَّ بأنواع الهموم ليبتلـــــي

فقُلْتُ لَهُ لمّا تَمَطّى بصُـلْبـــــهِ وأَرْدَفَ أَعْجازًا وناءَ بِكَلْكـــــلِ

أَلا أَيُّها اللَّيْلُ الطّويلُ أَلا انْجَلـــي بِصُبْحٍ وما الإِصْباحُ مِنْكَ بأَمْثَـلِ

ليتأكّد لك أنّ الليل واحد وإنما اختلف لفظه لا معناه عند كلّ شاعر؛ فهو ليل طويل مظلم أوداجٍ، تزداد فيه الهموم ويزول فيه الكرى، وهذا ما يجعل من الشّعر شعرا، لأنّ اللّغة فيه تختلف من بيت لآخر، وبين كلّ شاعر وشاعر، ما يجعله أكثر الأجناس الأدبيّة قوّة في الحضور، والتّعبير عن المعاني الحسيّة بشكل خاصّ.

2- **اللّحن:** واللحن مما تهفو إليه النّفس وتطرب، وباعتبار الشّعر العربيّ كلاما موزونا مقفى؛ فإنّ يستمدّ إيقاعه من تفعيلاته المختلفة، وقافيته الممتدّة ورويّه الموحَّد؛ لهذا يعدّ الشّعر بلحنه أكثر الأجناس الأدبيّة تأثيرا في النّفوس، إذ "ممّا يفضّل به الشّعر أنّ الألحان-التى هي أهنأ اللّذات- إذا سمعها ذوو القرائح الصّافيّة، والأنفس اللطيفة، لا تتهيّأ صنعتها إلا على كلّ منظوم من الشّعر؛ فهو لها بمنزلة المادّة القابلة لصورها الشّريفة؛ إلاّ ضربا من الألحان الفارسيّة تصاغ

على كلام غير منظوم نظم الشّعر، تمطّط فيه الألفاظ؛ فالألحان منظومة والألفاظ منثورة."[xi] وإذا كان الشّعر في أبسط معانيه هو ذلك الكلام الموزون المقفى، فإنّ الوزن والقافيّة فيه هي بمثابة عمود يبنى عليه الشّعر، وإلاّ لم يكن الشّعر ليصدح بالألحان، ويُغنى بالعود والكمان، هذا حال الشّعر مع الغناء فكيف حال الغناء مع الشّعر؟

أثبت تاريخ الشّعر العربيّ أن القصيدة العربيّة قد لُحنت وتغنّى بها الشّعراء والمطربون في كم من محفل منذ مئات السّنين، فقد كان الشّعر العربيّ حاضرا في مجالسّ اللهو والسّمر، وكانت القيان ممن تعتلي منصّة العود ببعض ألحانها لتنشد الأشعار، وكان من أشهرهم سَلامَة وحُبابة جاريتا اليزيد بن عبد الملك وفريدة جاريّة الواثق، ومُتَيَّم الهِشامِيّة جاريّة عليّ بن هشام أحد قواد المأمون وهذا في القديم، أمّا في العصر الحديث فقد بزغ فجر جديد من عصر الأغاني الشّعريّة؛ حيث غنّت فيروز رباعيات الخيام، و(تذكرت ليلى) لمجنون ليلى قيس بن الملوَّح، و(جاءت معذبتي) لابن الخطيب، وغنَّى صباح فخري قصيدة (قل للمليحة في الخمار الأسود) لمسكين الدّارمي، وأمّ كلثوم (أراك عصي الدّمع) للحمداني، وهيام يونس (تعلّق قلبي طفلةً عربيّة) لامرئ القيس، كما كانت الكثير من قصائد الشّعر الحرّ ملهمة للعديد من رجال هذا الفنّ، أمثال كاظم السّاهر وماجدة الرّومي، وأصالة نصري مع قصائد نزار، ومارسيل خليفة، وأميمة الخليل وسميح شقير، وتانيا صالح مع قصائد محمود درويش،[xii] وكلّها قصائد شعريّة

أثبتت قدرة الشّعر العربيّ على ملامسة الرّوح التي هي وظيفة الفنّ عموما والموسيقى منه بشكل خاصّ.

وإذا كانت القصيدة العربيّة قد مرّت في نشأتها بمرحلتين أساسيتين: هما؛ مرحلة الشّعر العموديّ ومرحلة الشّعر الحرّ، فإنّ الشّعر الحرّ يعدّ منها بمثابة ثورة على موسيقى الشّعر التّقليديّة التي ظلت مسيطرة على الذّوق العامّ لموسيقى الشّعر العربي طيلة خمسة عشر قرنا من الزّمن؛ إذ بعد أن كان الشّعر مُقيَّدا بعدّة بحور شعريّة تعكس الذّوق الذّي نَسج على منواله العربيّ قصائده الشّعريّة منذ العصر الجاهليّ، صار في العصر الحديث حرّا في انتقاء التّفعيلة التي تتناسب مع طبيعة أبياته أو الذّوق العامّ الذّي يتناسب وإيقاع القصيدة، ولك أن تقرأ قصيدة جبران خليل جبران (أعطني النّاي وغنِّ) أو تسمعها بصوت فيروز أو تقرأ (قصيدة ريتّا) أو (سلام عليك) لمحمود درويش أو تسمعها بصوت مارسيل خليفة؛ ليتأكّد لك جليا أنّ الغناء للشّعر العربيّ روح، وأن العربيّة للشّعر نايّ.

3- **القدرة على مجاراة الأحداث:** فالشّعر يقول كلّ شيء، متى يَشاءُ، وعن أيّ شيء؛ لأنّه مهيَّئٌ لهذا الغرض، وهذه الخصوصيّة التي في الشّعر تجعل من الشّعر وسيلة للتّعبير عن متطلبات الحياة ومستجدات الأحداث في كلّ مكان وزمان، فالشّعر الذّي استخدم قبل أكثر من خمسة عشر قرنا لحدو الإبل، والبكاء على الأطلال، والتّغني بالأمجاد والتّفاخر بالآباء والأجداد، صار اليوم سلاحا يدعو به الإنسان إلى التّحرّر من كلّ براثن العبوديّة والتّخلّصّ من بقايا الاستعمار وبخاصّة في ظلّ تصاعد موجة العدوان على بعض الدّول المحتلّة في معظم

دول العالم، كفلسطين حاليا، إذا ما استثنينا الاستعمار القديم في أفريقيا وآسيا؛ بل وبه صار الإنسان يعالج قضايا الأمّة التي من شأنها أن تنهض بالمجتمع كترسيخ المبادئ و القيّم ، ومحاربة الآفات الاجتماعيّة، ونشر الوعيّ بشتى أنواعه السّياسيّ أو الدّينيّ أو الثّقافي، وغيرها من الموضوعات المتعلقّة بحياة الإنسان المعاصر. ومع التّطوّر التّكنولوجيّ الذّي تعرفه البشريّة في مجال الإعلام والاتّصال، صار الشّعر أنسب وسيلة للتّعبير في مختلف هذه الوسائط الذّي تعرفها مواقع التّواصل الاجتماعيّ، "فمهما يكن من شأن، لا نبالغ في القول إن بإمكان القصيدة أن تنغرس في نسيجنا العالميّ العولميّ، أكثر من أيّ جنسٍ أدبيٍّ آخر؛ كي تُثبت أنها–وقد صحبتْ رحلة الإنسانيّة منذ الأزل–هي أكثر الأجناس الإبداعيّة قدرةً على مسايرة العصور، وصولًا إلى روح الإنسان، أنَّى كان".[xiii]

إنّ الخصائص التي تميّز الشّعر عن غيره من أشكال النّثّر الأخرى، بها فيها الرّواية أو القصة، هي التي تجعل الشّعر الوسيلة الأنسب في التّعبير عن مستجدّات العصر، فالشّعر الذّي ينبع من عاطفة هي أقرب إلى روح الإنسان وبموسيقى هي أقرب إلى إثارة الأحاسيس والمشاعر، وبلغة هي أقل ما يقال عنها أكثر واقعيّة من التّخييل الذّي تعتمده الرّواية، يستطيع أن يحرّك دواخل الإنسان وأن يؤثّر فيه أكثر من أي لغة كانت، بل هذا ما يبرّر لنا سهولة انتقاله عبر الأجيال، فسهولة حفظه أو قوّة حضوره في الذّاكرة، هي التي تجعل الشّعر حاضرا وبقوة في حياة الإنسان، وإلا كيف نفسّر خلود القصائد الشّعريّة القديمة أو التي مرّ عليها مئات السّنين في حياة الإنسان المعاصر، وهذا عن مبرّرات خلود

الشّعر أو عما يجعل من الشّعر تاريخا أو ماضيا وحاضرا في الوقت ذاته، أما ما يجعل من الشّعر وسيلة للتّعبير عن مستجدّات العصر، فهو قدرته على التّماهي مع موضوعات العلم، والأدب، والثّقافة، والسّياسة، والأخلاق، وغيرها من الموضوعات التي تخصّ الإنسان في علاقته مع محيطه أو عالمه الخارجيّ. إنّ الغزل، والمدح، والرّثاء، هي موضوعات بالنّسبة للشّعر الحديث صارت جزءا من تاريخ الشّعر، لا جزءا من حاضره، إذا ما استثنينا بعض المراثي التي كُتبت في بعض أعلام الأدب والفنّ، ممن لهم فضل على هذا الجنس الأدبي الرّاقي أمّا ونحن نعيش عصر الدّيموقراطيّة، وزمن الجمهوريات، وعالم بحجم القريّة الصّغيرة، بعيدا عن حكم الإمارة وعصر الملوك، فإنّ الشّعر يقود معركته الكبرى ضدّ الظّلم والعدوان، أو بالأحرى ضدّ ما يمكن أن يحطّ من قيمة الإنسان، وهي معركته الحقيقيّة التي يدافع فيها عن القيّم النّبيلة، والأخلاق الفاضلة، أو يصدح فيها بكلمة حقّ ليقول للظالم: توقف! فحينما تسمع محمود درويش، يقول:

ونحن نحبّ الحياة إذا ما استطعنا إليها سبيلا
ونرقص بين شهيدين نرفع مِئذنة للبنفسج بينهما أو نخيلا
نحبّ الحياة إذا ما استطعنا إليها سبيلا
ونسرِق من دودة القزِّ خيطا لنبني سماءً لنا ونُسَيِّجَ هذا الرّحيلا
ونَفْتَحُ باب الحديقة كي يخرُجَ الياسمينُ إلى الطّرُقاتِ نَهارًا جَميلا
نُحبُّ الحياةَ إذا ما استطعنا إليها سبيلا
ونَزْرَعُ حيث أَقمنا نَباتًا سريع النّمُوِّ, ونَحْصُدُ حيث أَقمنا قتيلا

ونَنْفُخُ في النّاي لَوْنَ البعيدِ البعيدِ, ونَرْسُمُ فوق تُرابِ المَمَرِّ صهيلا

ونكتُبُ أَسْماءَنا حجرًا، أَيُّها البَرْقُ أَوْضِحْ لنا اللَّيْلَ، أَوْضِحْ قليلاَ

نُحِبُّ الحَياةَ إِذا ما اسْتَطَعْنا إِلَيْها سَبِيلا ...

أو سميح القاسم، يقول:

تقدّموا

تقدّموا

كل سماء فوقكم جهنّم

وكل أرض تحتكم جهنّم

تقدّموا

يموت منا الطّفل والشّيخ

ولا يستسلِم

وتسقط الأم على أبنائها القتلى

ولا تستسلم

تقدّموا

تقدّموا

بناقلات جندكم

وراجمات حقدكم

وهدّدوا

وشرّدوا

ويتّموا

وهدموا

لن تكسروا أعماقنا

لن تهزموا اشواقنا

نحن القضاء المبرم

تقدّموا

تقدّموا

أو بدر شاكر السّياب، يقول:

يا راقصين على دمّ الصّحراء قد آن يوم الثّورة الحمراء

تلك الشّرارة بعد حين تنجلي عن زاخر بالنّار والأضواء

تلك الشّرارة بعد حين تنجلي عن زاخر بالنّار والأضواء

ويد يفر البغي من هزاتها حمراء ضرجها دم الشّهداء

فضت فم المستعمرين بلطمة لا غير قاتلة ولا أشلاء

واليوم يصرخ كلّ حرّ غاضب في وجه كلّ مهوس الآراء

تلك المواطن أين عنها أهلها فتروح تعرضها على الغرباء

والقدس ما للقدس يمشي فوقها صهيون بين الدّمع والأشلاء

ما هتلر السّفاح أقسى مديّة يوم الوغى من هتلر الحلفاء

يـا أخـت يـعـرب لـن تـزالي حـرّة　　　بـيـن الـدّم الـمـســـفـوك والأعـداء

ثـارت أهـلـك في دمـانـا تـلـتـظي　　　هـيـهـات لـيـس لـهـن مـن إطـفـاء

حتى يضـــمّ ثرى الجزيرة أهلها　　　أو يـلـبســـون مـطـارف الـعـلـيـاء

تدرك حقيقة أنّ للشّعر عنوانا آخر مع التّحدّي ومكافحة الظّلم والعدوان؛ بل وترى فيه رمزا آخر للتّفاؤل بالنّصر القريب؛ وعليه فالجهاد في سبيل إعلاء كلمة الحقّ وهي﴿ **أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ** ﴾[الأنبياء: 105]؛ تكون بالشّعر كما تكون بالسّلاح، والشّاعر هنا يؤمن حقًّا بمبادئه في الدّفاع عن القضيّة الفلسطينيّة ويصدح بكلمة حقٍّ في وجه سلطان جائر، احتل الأرض وانتهك العرض، بل ويزرع الأمل في النّفوس بالانتصار القريب مهما طال الأمد؛ لأن الاستعمار لا يرث الإعمار. وإنّ شعر التّفعيلة في كلّ هذا أو ذاك أو ما يعرف في أدبنا باسم الشّعر الحرّ، هو –بغض النّظر عن موقف النّقّاد منه–ثورة داخل ثورة، فهو ثورة على التّقليد الذّي شاع بين أوساط الشّعراء طيلة أكثر من خمسة عشر قرنا، تحت راية (ليس الشّعر إلا ما قال عنترة) أو (ليس هناك أبدع ممّا كان) وثورة ضدّ الاستعمار الغاشم الذّي احتلّ الأرض وانتهك العرض، وعليه فلا بدّ من طرده بأي طريقة أو وسيلة كانت. وهنا بالنّظر إلى تاريخ الشّعر العربيّ يمكن اعتباره أكثر النّصوص الأدبيّة قدرة على مجاراة الأحداث، في تنوع موضوعاته من جهة، وتنوع بنيته الإيقاعيّة من جهة ثانيّة.

خاتمة: جاء هذا المقال ليغطِّي دورا كان خفيّا على بعض النّقاد والدّارسين بالنّسبة للشّعر ، وهو أن الشّعر أكثر الأجناس الأدبيّة قدرة على مجاراة الأحداث بعد أن اعتُقِد أنّ عصر الشّعر قدْ ولّى وأنَّ على الشّعر أن يتخلّى عن مكانته لصالح الأجناس الأدبيّة الأكثر رُقيًّا أو جماهيريّة بالنّسبة لبعض النّقاد، وهِيَ الرّواية أو القصّة طبعا في عصرنا الحالي؛ ولكن بالنّظر إلى وظيفة الشّعر من جهة وخصائصه الفنيّة من جهة ثانيّة، تأكد لنا جليًّا أنّ الشّعر لا يموت، وأنّ الشّعر وإن كُتب لبعض الأجناس الأدبيّة أن تطفوَ إلى السّطح لتظهر من حين إلى حين، كالرّواية أو القصّة أو المسرح، فإن هذا لا يعدو أن يكون تبادل أدوار لا أكثر ولا أقلّ، ولكن يبقى للشّعر حضور أقوى وتأثير دائم في خلد من يهوى الشّعر ومن لا يهوى؛ لأنّه وبكل بساطة روح الإنسان الذّي يُخيَّل إليه أنّه تلك القصيدة، وأن الشّاعر إنما يعنيه بكلامه. وإذا كان وأَنْ كُتِب للرّواية أن تكون أكثر الأجناس الأدبيّة حضورا في ذهن القارئ في هذا العصر تحديدا، فإنّ هذا لا يعدو أن يكون حضورا ظرفيّا أو آنيا؛ نتيجة لعدّة عوامل حتمت على القارئ العربيّ أن ينتقل إلى الرّواية؛ ليبحث عن ذاته في الأدب، أو يكتشف متعة الأدب بعد أن ضاقت به السّبل في البحث عن ذاته ضمن الشّعر أو أيّ جنس أدبيّ آخر، ليعود من جديد إلى الأدب مهما كان نوعه لينظر في أيِّ الأجناس الأدبيّة يمكن أن يجد ذاته أو متعة الأدب فيه من جديد؛ ولن يكون إلا الشّعر؛ لأنّ الشّعر كلمة والكلمة لا تموت، وإذا كان هذا حال الشّعر مع الأدب، فإنّ حاله

مع اللّغة، أنّ اللّغة التي يُكتَبُ بها الشّعر هي كذلك خالدّة لن تموت؛ وإنّما هي خالدّة ما خَلُدَ الشّعر.

التّهميش:

[i]– أرسطو طاليس، فن الشّعر، تر: متى بن يونس، تح: شكري عياد، ص: 7. نقلان عن أحمد اتزكنرمت "وظيفة الشّعر في الأدب العربي القديم" تمّت الزّيارة يوم: 10–11–2023، على الرّابط:

https://www.diwanalarab.com

[ii]– أبو هلال العسكري، الصّناعتين، تح: علي البجاوي وآخر، المكتبة العنصريّة، بيروت، 1419، د.ط. ص: 138.

[iii]– ديوان لبيد بن ربيعة، تح: حمدو طمّاس، بيروت، 2004، دار المعرفة، ط1، ص85.

[iv]– ديوان محمود سامي البارودي، مؤسسة هنداوي، القاهرة: 2017، د.ط، ص129.

[v]– ينظر: جهاد فضل، "معارك دارت رحاها بين فريقين متعصبين لكل نوع أدبي منهما: الشّعر.. أم الرّواية؟" جريدة الرّاية القطريّة، 24 فبراير 2018، العدد: 13076، ص: 34.

[vi]– جابر عصفور، زمن الرّواية، القاهرة: 1999، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، د.ط، ص: 48–49.

[vii]– جابر عصفور، زمن الرّواية، ص: 29–30.

[viii]– جابر عصفور، زمن الرّواية، ص: 32–33.

[ix]– حنان بومالي "كثافة اللّغة الشّعريّة: مقاربة لبعض النّصوص الشّعريّة المعاصرة" مجلة دراسات وأبحاث، جامعة زيان عاشور الجلفة، الجزائر: 2019، المجلد: 11، العدد: 1، ص28.

[x]– إبراهيم السّامرّائيّ، لغة الشّعر، دار الفكر للنشر والتّوزيع، دمشق، 1404، د.ط، ص7.

[xi]– أبو هلال العسكري، الصّناعتين، ص: 138.

[xii]– ينظر للمزيد: سارة القضاة "قصائدٌ ومعلّقات خلّدتها الموسيقى" تمّت الزّيارة يوم: 26–11–2023، على الرّابط:

https://www.7iber.com/2015/05/poetry-music/

[xiii]– عبد الله بن أحمد الفيفي "مستقبل الشّعر العربيّ!" تمت الزّيارة يوم 18–11–2023، على الموقع:

https://www.diwanalarab.com